



دور القلب السليم في
الطاعة والاجتناب



سلسلة القلب السليم في نهج البلاغة (٣)

دور القلب السليم في الطاعة والاجتناب

تأليف

السيد هيثم أحمد الحيدري

اصدار
مؤسسة نور نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م



مؤسسة علوم نهج البلاغة

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

www.Inahj.org

E-mail: Inahj.org@gmail.com

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(...فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبِ سَلِيمٍ

أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرِيدِهِ

وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَّرَهُ

وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرُهُ...)

(نهج البلاغة: الخطبة ٢١٤)

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الهداة المطهرين.

وبعد :

فإن من اعجب ما خلق الله تعالى هو هذا
القلب الذي اكتسب اسمه من تقلب احواله وتغير
سبله وميوله فكان القائد الى الجنة أو النار والمعول
عليه في المحن والاهوال فان ثبت في الطاعة لخالقه
وفاطره قاد صاحبه الى النجاة وان تقلب وزاغ عن
الحق قاده الى الهلاك

ولذا :

تعددت الآيات والروايات التي تبين للإنسان
خطر القلب ووسائل سلامته ومرضه.

وهنا في هذه السلسلة الموسومة بـ (سلسلة
القلب السليم) رَسونا على ضفاف نهج البلاغة

وحديث امير المؤمنين عليه السلام نستخرج من
بحره ما يعيننا على سلامة القلب.
والله الموفق لكل خير.

السيد نبيل الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم،
والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ
آلاء أسداها، وإحسان منن والاهاء، جم عن
الاحصاء عددها، ونأى عن المجازاة أمدها،
وتفاوت عن الادراك أبدها)^(١)، والصلاة والسلام
على النبي المصطفى محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين.

وبعد..

فقد تحدثنا آنفا عن القلب السليم وبيننا انه
أصل السلامة في المجتمع البشري، وبما أن الطاعة
الحقيقية ثمرة القلب السليم، نوذ في هذا الجزء أن
نتناول بعض مسائل الطاعة جريا مع قول الامام

(١) من خطبة سيدة نساء العالمين عليها السلام
(الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ١، ص ١٣٢؛
بلاغات النساء، لابن طيفور، ص ١٥)

عليه السلام: (أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ...)

من هنا نتساءل: ما هي الطاعة؟

ومن الذين تجب علينا طاعتهم؟

ومن الذين يجب علينا ان نتجنبهم لنيل

السلامة في الدارين؟

وفي محل الإجابة عن هذه التساؤلات يقتضي

تقسيم البحث على عدة مسائل.

السيد هيثم الحيدري

المسألة الأولى: معنى الطاعة

لقد عُرِفَت الطاعة بأنها: (الانقياد والموافقة بلا إكراه) وقريب منها الامتثال وهو: (الالتيان بالمأمور به، والانتهاز عن المنهي عنه)^(١)

ولا شك ولا ريب ان الطاعة كل الطاعة يجب أن تكون لله تبارك وتعالى خالصة، ثم لمن أمر بطاعتهم بلطفه وحكمته سبحانه، ومن هنا نقول: إن لمفهوم الطاعة العام تقسيمات كثيرة ومن أهمها:

١- الطاعة الإيجابية: وهي كل إطاعة تهدف الى طاعة الله عز وجل، فطاعة الله سبحانه هي الأصل في جميع فروع الطاعة، وكل من أمر الله بإطاعته إنما طاعته مستمدة من طاعة الله عز

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري ص ٢٦٨

وجل.

٢- الطاعة السلبية: وهي كل إطاعة لا تهدف إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

بعد التقسيم الأنف الذكر يندرج من الطاعة الإيجابية قسمان من الطاعة بلحاظ مَنْ أمر الله سبحانه بطاعتهم، وهما:

القسم الأول: طاعة مطلقة غير مشروطة: وهي إطاعة من أمر الله تعالى بإطاعتهم مطلقا أي لم تقيد بقيد أو شرط.

القسم الثاني: طاعة مقيدة ومشروطة: وهي إطاعة من أمر الله تعالى بإطاعتهم ولكن مع القيد أو الشرط.

المسألة الثانية: الطاعة المطلقة الغير مشروطة:

وهي لمن اصطفاهم الله من الانبياء والرسل

والأئمة المعصومين عليهم السلام ليهدوا الناس
الى الصراط المستقيم بأمر من الله عز وجل، وهذا
ما صرح به القرآن الكريم في كثير من آياته كقوله
تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ...﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٣).

جاء في الوافي للشيخ الكاشاني: عن زرارة
عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذروة الأمر
وسنانه ومفتاحه وباب الأشياء ورضاء الرحمن

(١) الانبياء، ٧٣.

(٢) النساء، ٦٤.

(٣) النساء، ٨٠.

تعالى الطاعة للإمام بعد معرفته ثم قال إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

بيان: يعني كما أن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طاعة الله كذلك طاعة الإمام طاعة الله لأنه يدعو إلى ما يدعو إليه الرسول لأنه خليفته»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾^(٣).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه

(١) الوافي، للفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) الاحزاب، ٧١.

(٣) النساء، ٥٩.

السلام: «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة،
وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان»^(١).

يتبين لنا من الآيات المارة الذكر ومن الآية
الاخيرة أن طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله)
وأولي الامر عليهم السلام هي فرع طاعة الله
سبحانه وتعالى لأنها مفروضة منه على عباده،
وأولو الأمر هم أهل البيت عليهم السلام كما دل
الدليل في محله^(٢).

المسألة الثالثة:

العصمة المطلقة لأصحاب الطاعة المطلقة:

إن في الآية ٥٩ من سورة النساء المذكورة
أعلاه- بيان جلي بثبوت العصمة المطلقة للنبي

(١) الهداية، للشيخ الصدوق، ص ١٥.

(٢) من أراد التفصيل يراجع تفسير الميزان، ج ٤، ص ٣٩٧، في
تفسير الآية ٥٩ من سورة النساء.

وأولي الامر صلوات الله عليهم أجمعين لأنّ
الطاعة المطلقة هي الانقياد والامتثال القلبي
والجوارحي للمطاع بكل صغيرة وكبيرة، ولا يجوز
الامر بطاعتهم مطلقا عقلا لو لم يكونوا معصومين
لأن الامر بطاعتهم مطلقا مع العلم بجواز صدور
القبيح منهم قبيح، وساحته تعالى منزهة عن
القبيح قليله وكثيره، فالنتيجة أنهم عليهم السلام
لا يصدر منهم القبيح قليلا ولا كثيرا، بل انهم
أسبق العباد الى الطاعات وأنهم عن المعاصي
كما بينه أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال: «أيّها
النّاس إني والله ما أحثّكم على طاعة إلاّ
وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ
وأتناهى قبلكم عنها»^(١).

وكذلك كان دأب بقية الأئمة من ولده عليهم

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٧٥.

السلام.

فالطاعة المطلقة لا يستحقها إلا المعصوم الذي اصطفاه الله وطهره من كل رجز ليُخرج الناس من طاعة الشيطان ويدخلهم في طاعة الرحمان، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه واله) بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ...»^(١)

إن السلام العالمي لا يتحقق إلا بطاعة الله رب العالمين وطاعة الله لا تتأتى إلا بطاعة من فرض الله طاعتهم على عباده لأنهم أمناء الله وخلفاؤه في الأرض وهم أعلم الخلق بمصالح الخلق، ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرا ما يؤكد ذلك ويقول: «أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٤٧.

فَالزُّمُوا سَمَتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا»^(١)

وقال عليه السلام: (هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ وَكُهُوفُ كُتْبِهِ وَجِبَالُ دِينِهِ...)»^(٢).

وقال عليه السلام: «لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ...»^(٣)

(١) نهج البلاغة، خطبة ٩٧.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٢.

وقال عليه السلام: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ
(صلى الله عليه وآله) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا
خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ...»^(١)

وفي خطبة أم أبيها فاطمة الزهراء (صلوات
الله وسلامه عليها) اشارت الى هذا المعنى إذ
قالت: «فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من
الشرك... والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما
للملة وإمامتنا أمانا من الفرقة...»^(٢).

ففي هذه الكلمات توضيح لما تقدم من البيان
فيما يتعلق بطهارة القلب وطاعة الهداة وثمار هذه
الطاعة وثمار الإيمان، حيث تبين سيدة نساء
العالمين عليها السلام الجعل الإلهي المترتب على
اعتدال القلب وهو التنسيق والجعل المترتب على

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٠٠.

(٢) بحار الانوار، ج، ٢٩، ص ٢٢٣؛ وذكرت هذه الخطبة في
كتاب بلاغات النساء، ص ٧.

طاعة أهل البيت عليهم السلام وهو سلامة النظام
والجعل المترتب على الإقرار بالإمامة وهو السلامة
من الفرقة، وتشير لفظة الجعل الى انها سنة إلهية،
وسنن الله لا تقبل التبديل والتغيير، قال تعالى:
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَحْوِيلًا﴾^(١)

فإذا تحصّلت الشروط تحصّلت مشروطاتها،
وبعبارة اخرى: اذا اعتدلت القلوب استقامت
واتسقت واهتدت، واذا أطاعت الأمة أهل البيت
عليهم السلام تقوّم نظامُ الامّة واستقامت أمور
دينها ودنياها وآخرتها، واذا أقرت الامّة بإمامتهم
سلمت من الفرقة.

فمن هذا البيان المتقدم يتضح لنا جليا أن كل
قوم تكبروا وكذبوا بآيات الله ولم يطيعوا مَنْ أمر

(١) فاطر، ٤٣.

الله عز وجل بطاعته، فإن هؤلاء لا يهتدون الى سبيل السلامة ما داموا متكبرين ومكذبين، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١).

ويتضح أيضا سبب تدهور الامة ولماذا هجرها السلام بجميع مفرداته، وسوف لن يعود السلام إلا اذا عادت الامة الى رشدها وتمسكت بهداتها وهم أهل البيت عليهم السلام لانهم ترجمان الكتاب الذي أنزله الله تعالى ليهدي به العباد الى سبيل السلام، قال تعالى: ﴿.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ

(١) الاعراف، ١٤٦.

اللَّهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً أهل
البيت عليهم السلام وهو أولهم: «بِهِمْ عُلِمَ
الْكِتَابُ وَبِهِ عِلْمُوا وَبِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَبِهِ
قَامُوا...»^(٢).

وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى:
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

فأهل البيت عليهم السلام هم النبع الأصفى
والمصداق الأكمل لـ (أهل الذكر)

(١) المائة، ١٥-١٦

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٤٣٢.

(٣) الأنبياء، ٧.

فقد ذكر الحسكاني - وهو من العامة - عن الحارث قال: سألت علياً عن هذه الآية: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾؟ فقال: والله إنا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها^(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)

روى الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله تعالى: «ومن عنده علم الكتاب» قال: ذاك أخي علي بن أبي

(١) شواهد التنزيل، ج ١، ص ٤٣٢.

(٢) الرعد، ٤٣.

طالب»^(١).

وعن أبي صالح في قوله عز وجل: (ومن عنده علم الكتاب) قال: رجل من قريش هو علي ولكننا لا نسميه^(٢).

ومع قليل من التدبر المنصف في عبارة (ولكننا لا نسميه) تتبين لنا الكثير من الامور الغامضة عن هذه الامة، فتدبر.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾^(٣).

فأهل البيت عليهم السلام هم الراسخون في العلم، اصطفاهم الله ووهبهم علم الكتاب وتأويله ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور،

(١) شواهد التنزيل، ج، ١، ص ٤٠٠.

(٢) شواهد التنزيل، ج، ١، ص ٤٠٤.

(٣) آل عمران، ٧.

ولذلك كان امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه يؤكد هذا المعنى وهو يستنكر مزاعم البعض على انهم راسخون في العلم دون أهل البيت عليهم السلام إذ قال: «أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(١)

المسألة الرابعة: الطاعة المقيدة:

أو تسمى المشروطة، وسبب تقييد هذه الطاعة واضح للمتأمل، وهو أن المطاع في هذا القسم غير معصوم، ومصاديقها كثيرة نقتصر على ذكر

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٤٤.

بعضها:

١- إطاعة الوالدين: قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

فالآية صريحة البيان بتقييد هذا النوع من
الطاعة والسنة الشريفة قد بينت حدودها.

٢- إطاعة علماء الدين الصالحين: فطاعة
العلماء الصالحين تتفرع من طاعة المعصومين
عليهم السلام لأنهم حجة علينا والمعصوم حجة
الله عليهم، وبما أن العلماء غير معصومين فقد
بينت الروايات صفات من علينا إطاعتهم.

ففي رواية عن أبي محمد العسكري عليه

(١) العنكبوت، ٨.

السلام قال في حديث طويل : «.. فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه...»^(١).

وبهذا الصدد ورد التوقيع عن الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وبخطه المبارك :
«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»^(٢).

٣- إطاعة الزوجة لزوجها.

٤- إطاعة العبد لمالكه.

وغير ذلك من الطاعات المقيدة والمشروطة وكل هذه الأصناف من الطاعة تحكم وتقيّد بالنص الوارد عند الفريقين : «لا طاعة لمخلوق في

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٣١.

(٢) كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٢٩١.

معصية الخالق»^(١).

وإذا قال قائل لماذا لم تقيدوا الطاعة المطلقة
بهذا النص المتفق عليه؟

قلنا في محل الجواب:

١- لاطلاق الآيات المارة الذكر في إطاعتهم
وعدم تقييدها.

٢- بعد إثبات عصمتهم عليهم السلام فلا
موضوعية لأمرهم بالمعصية بمعنى ان القضية سالبة
بانتفاء الموضوع.

٣- انهم مصادر التشريع الالهي والامناء على
دين الله تبارك وتعالى فبهم ينشر السلام في البلاد
وبهم يُفرك بين الحق والباطل، فهل يُعرف
الصواب إلا منهم؟

(١) المبسوط، للشيخ الطوسي، ج٧، ص٤١؛ الشرح الكبير،
لعبد الرحمان بن قدامة، ج٩، ص٣٤٢.

والى هذا المعنى يشير قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَمْ
يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ﴾^(١).

أورد ابن عساكر في تاريخه عن أبي ثابت مولى
أبي ذر قال دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي
وتذكر عليا وقالت : سمعت رسول الله (صلى الله
عليه واله وسلم) يقول : «علي مع الحق والحق مع
علي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض يوم
القيامة»^(٢).

المسألة الخامسة:

تجنب مَنْ طاعتهم مردية:

بعد الكلام عن الطاعة الايجابية المطلقة

(١) يونس، ٣٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٤٤٩.

والمقيدة نبين من خلال كلمات الامام أمير المؤمنين عليه السلام محل البحث ان هنالك اناساً لا بد من تجنبهم، وأن طاعة هؤلاء مردية مبعدة عن سبل السلامة، لذا تصبح طاعة هؤلاء طاعة سلبية، وذلك لان العقل والشرع يقودان الى اجتناب أهل الباطل والنفاق والضلال وغيرهم ممن أعلنوا العداة للحق وأهله.

١- سلبية طاعة أئمة الضلال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفُّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَأَلْقَوْا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِأَلَائِهِ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ

أَضْدَادًا وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا وَلَا تُطِيعُوا
 الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ
 بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ
 وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ
 إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ
 وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ
 وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ
 مَرْمَى نَبَلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ»^(١).

إن هذا المقطع من الخطبة المسماة بالصاعقة
 يبدو كبيان وتفسير لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ
 وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
 وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
 وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١﴾

وفي شرح هذا المقطع قال الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله): (ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم). حذر الإمام من الذين يعشقون المناصب والرياسة لا لشيء إلا للذة الحكم وشهوة السلطان، وأيضا حذر من الذين يتعشقون الكراسي كوسيلة تمكنهم من الوصول إلى غاياتهم ومآربهم، أما من يطلب الحكم لإقامة العدل وإحقاق الحق، وللقضاء على الشر والفساد - أما هذا فواجب الطاعة والمؤازرة...

(الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا عن نسبهم) أي احذروا السادات الذين يتنازرون بالألقاب، ويتفاخرون بالمناصب. وفي الحديث الشريف: «حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه،

(١) الاحزاب، ٦٦-٦٧-٦٨.

وأصله عقله»^(١)

(وألقوا المهجينة على ربهم)... والمعنى انهم يتعاضمون على الناس، لأن الله هو

الذي ألبسهم قميص العظمة، وحرّم غيرهم منه، كما يزعمون، وهذه جرأة وفرية على الله الذي قال: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^(٢)

(وجاحدوا الله ما صنع بهم... إلخ) ان الزعماء يستظهرون بنعمة الله على عباد الله، ويعاندون أمره بالشكر والتواضع، ويجحدون آلاءه تمردا وعنادا.

(فإنهم قواعد... إلخ).. المراد بالعصبية التعصب لغير الحق، وبالفتنة الفرقة والفساد، وبالاعتزاء الانتساب. والقصد هو مجرد الذم، وان

(١) الكافي، للكليني، ج ٨، ص ١٨١.

(٢) الحجرات، ١٣.

الزعماء هم أصل الداء والبلاء.

(فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم
أضدادا). النعمة تستوجب الشكر والتواضع.
والكبر ضد التواضع، والكفران ضد الشكر.
والقصد النهي عن رذيلة الكفران والكبر.

(ولا لفضله عندكم حسادا). المراد بالحساد
هنا الأعداء، والمعنى لا تعملوا ما يستوجب زوال
النعمة عنكم، وإلا يكون شأنكم مع أنفسكم
شأن العدو الذي يتمنى زوال النعمة عن عدوه.
وبكلمة لا تكونوا أعداء أنفسكم.

(ولا تطيعوا الأعداء... إلى العقوق). الدعيّ
هو الذي ينتسب إلى غير أبيه، ومثله النذل
الخنيس حيث يدعي الشرف والمكانة، والمعنى أنتم
ودعاء وأبرياء، لأنكم لا تهدفون إلى شيء سوى
العيش في أمان واستقرار وبكده اليمين وعرق

الجبين، أما الرؤساء الخبثاء فهم سفلة ولصوص قد تخصصوا بأساليب الخداع، وتفننوا في طرق السلب والاستغلال، وعليكم أن تكافحوهم، ولا تركنوا إليهم، ومن تحالف معهم عن وعي وعلم، ومن أجل الربح والكسب فهو مجرم وخائن، ومن ركن إليهم عن غفلة وجهل أخذوا منه دينه وضميره الصافي النقي، وبره لوطنه وأمته، وأعطوه الكدر والمرض والباطل..

(اتخذهم إبليس مطايا... إلخ) إن الزعماء المنحرفين يفعلون بوحى من الشيطان، وينطقون بلسانه، وينظرون بعينه، وبأذنه يسمعون، بل هم في قبضته وتحت قدمه...^(١).

٢- سلبية طاعة الظالمين:

(١) في ظلال نهج البلاغة، ج ٣، ص ٧٧.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١)

ففي تفسير القمي: (ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا) قال: ركون مودة ونصيحة وطاعة^(٢)

وفي تفسير النحاس وهو من العامة
قال: (وقوله جل ذكره (ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا فتمسكم النار...)) قال عكرمة: أي: (لا)
تودوهم و(لا) تطيعوهم^(٣).

ولا شك أن الظالمين على أصناف، وكل
صنف له درجات تتفاوت في شدة الظلم عندهم
وضعفه.

(١) هود، ١١٣.

(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ٣٣٨.

(٣) معان القرآن، للنحاس، ج ٣، ص ٣٨٥.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١).

إن هذا الصنف من الظالمين يعبر عنه القرآن بالأظلم فلا ظلم أشد من ظلم هؤلاء لأنهم متصفون بأعلى درجات المفسدين فهم يفترون على الله الكذب، وذلك لأجل مصالحهم وإرضاء نفوسهم الأمانة بالسوء وتثبيت مناصبهم، ولهذا النوع من الكذب معنى واسع من قبيل تحريف كلام الله بالزيادة أو النقصان أو التفسير بالرأي وتزييف الحقائق أو بالكذب على رسول الله صلى

(١) هود، ١٩.

الله عليه وآله بأحاديث لم ينطق بها وهي تعارض الكتاب والسنة، ولو تقصينا التاريخ بإنصاف نجد أن أئمة هذه الافتراءات هم بنو أمية وبنو العباس، فلقد كان دأبهم سرقة العقائد الحقة من الناس واستبدالها بعقائد مزيفة تلائم مصالحهم الخاصة، وبذلك تحطيم صرح العدل والسلام وتشديد دولة الظلم والجور والإعوجاج، وهذا جلي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾^(١).

والخلاصة أن طاعة هؤلاء والركون اليهم ظلم ومشاركة في أفعالهم، وأما التقي بعيد عن موالاتة الظالمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، ومن

(١) هود، ١٩.

(٢) الجاثية، ١٩.

يشارك في ظلم هؤلاء يسلب طريق الهداية قال
تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)،
وكذلك الحب الالهي قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقد وصف الإمام الحسين عليه السلام دولة
بني أمية أدق الوصف في خطبة نقلها الطبري في
تأريخه حيث قال: (عن عقبة بن أبي العيزار ان
الحسين (عليه السلام) خطب أصحابه وأصحاب
الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها
الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله
ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم

(١) آل عمران، ٨٦.

(٢) آل عمران، ٥٧.

يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله...^(١).

٣- سلبية طاعة أهل الكتاب:

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٢).

قال الطبرسي في مجمع البيان: (يا أيها الذين آمنوا) أي: صدقوا الله ورسوله، وهو خطاب للأوس والخزرج، ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ. (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٤.

(٢) ال عمران، ١٠٠.

الكتاب) معناه: إن تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم، وإحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) أي: يرجعوكم كفارا بعد إيمانكم)^(١).

ان الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين في هذه الآية وينهاهم عن طاعة أهل الكتاب وهم اليهود، وقيل اليهود والنصارى، ولا يسمعوا لهم فإن في طاعتهم ردة عن الإيمان بيث تشكيكاتهم وضلالهم، وقد خص الله سبحانه فريقا منهم لأن أهل الكتاب ليسوا جميعا يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، بل أكثرهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

(١) تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٥٣.

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴿١﴾.

إذا لما كان هؤلاء أعداء للسلام وللإسلام
والمسلمين حرم الله جل وعلا طاعتهم على
المؤمنين بجميع أشكالها كالإستماع إليهم وودهم
وبرهم بل كل ما يسمى ولاء لهم، قال تعالى: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وأما من لم يكن عدوا للإسلام والمسلمين
فالأمر مختلف معهم، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ
اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ
يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣).

(١) البقرة، ١٠٩.

(٢) المائدة، ٥١.

(٣) الممتحنة، ٨.

وهنا تنبغي الإشارة الى داء طالما اشتكى منه
جسد المجتمع الإسلامي عموما وشبابه خصوصا،
ألا وهو داء تقليد المجتمع الغربي وهو ضرب من
ضروب الطاعة غير المباشرة والغير واعية، وهذا ما
عملت من أجله أياد خفية ماسونية البصمات منذ
زمن بعيد، فهذه الايادي ما إن لمست مجتمعا من
مجتمعات المسلمين يتمتع بمبادئه إلا ونفثت فيه
سمها كالأفعى.

والأعظم ألماً في هذا الأمر هو انصياع بعض
الشباب المسلم لهم، بشعور تارة ومن غير شعور
أخرى، فنحن نجد بعض الشباب متحدياً لأعداء
الإسلام قولاً، وأما على الصعيد العملي فهو
مشروع لهم بأفعاله، من قبيل تقليدهم بعادات
بعيدة عن روح الاسلام، والسير بخطاهم بلا
شعور، وما هذا إلا سير بخطى الشيطان، قال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

٤- سلبية طاعة المسرفين:

قال تعالى عن لسان النبي صالح عليه السلام:

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)

ان خطورة إطاعة المسرفين تتضح لنا بجلاء عندما نبين العلاقة الوثيقة بين الإسراف وبين قطع جذور السلام ونشر الفساد في الأرض، قال تعالى

(١) النور، ٢١.

(٢) الشعراء، ١٥١.

في شأن فرعون: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ
الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)

فالقُرآن الكريم يصرح جلياً ان فرعون كان
من المسرفين الذين تكبروا وتجاوزوا الحدود، بل انه
بالغ بإسرافه واستعلائه، فاستهزأ بعقول قومه بيث
المغالطات العقيمة والكاذبة فأطاعوه بعشوائية من
غير إعمال العقل، نتيجة انغماسهم بالفسق
والفجور ولهذا المعنى أشار قوله تعالى:
﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ﴾^(٢)

وفي تفسير الامثل ما يكشف لنا النقاب عن
شيء من حقيقة الاسراف وبعض مصاديقه من
القُرآن الكريم، إذ قال: (نعرف أن «الإسراف» هو

(١) الدخان، ٣٠-٣١.

(٢) الزخرف، ٥٤.

التجاوز عن حدّ قانون التكوين وقانون التشريع... وواضح أيضاً أنّ أيّ تجاوز عن الحد موجب للفساد والاختلال وبتعبير آخر: إن مصدر الفساد هو الإسراف، ونتيجة الإسراف هي الفساد أيضاً.

وينبغي الالتفات إلى أنّ الإسراف له معنى واسع، فقد يطلق على المسائل المادية كالأكل والشرب، كما في الآية (٣١) من سورة الأعراف (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقد يراد في الإنتقام والقصاص - عند تجاوز الحد - كما في الآية (٣٣) من سورة الإسراء... (فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً) وقد يستعمل في الإنفاق والبذل عند التبذير وعدم التدبير، كما في الآية (٦٧) من سورة الفرقان: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) وقد يأتي في الحكم أو

القضاء الذي يجرّ إلى الكذب، كما في الآية (٢٨) من سورة غافر: (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب).

وقد يستعمل في الإعتقاد المنتهي إلى الشك والتردد والإرتياب كما في الآية (٣٤) من سورة غافر إذ تقول: (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) وقد يأتي بمعنى الإستعلاء والإستكبار والإستثمار كما جاء في الآية (٣١) من سورة الدخان في شأن فرعون (إنه كان عالياً من المسرفين) وأخيراً فقد يأتي بمعنى مطلق الذنوب كما هو في الآية (٥٣) من سورة الزمر (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)، وبملاحظة كل ما بيناه آنفاً، تتضح العلاقة بين الإسراف والفساد

بجلاء...^(١)

تبين لنا مما تقدم، أن الطاعة السلبية بجميع أنواعها التي ذكرناها - والتي لم نذكرها طلبا للإيجاز- لا تُرتجى منها ثمارٌ إلا الفساد في الارض وقمع جذور السلام.

ولا يخفى أن الطاعة السلبية منشؤها من إطاعة النفس الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٢).

وأیضا من إطاعة الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣)

^(١) الأُمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١١ ص ٤٣٠

(٢) يوسف، ٥٣.

(٣) النور، ٢١.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى طاعة
الشیطان ونتائجها إذ قال: «أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ
فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ
أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِرِوَاؤِهِ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا
وَوَطَّئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ
فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ...»^(١).

قال العلامة التستري: «أطاعوا الشيطان» في

ما يدعوهم إليه.

«فسلكوا مسالكه» فيتبعون خطواته.

«ووردوا مناهله» المناهل: موارد الماء.

«بهم سارت أعلامه» أي: بسببهم وقعت

ألوية الشيطان في السير حيث شاء.

«وقام لرواؤه» على ساقها ولم تقع.

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢.

«في فتن» راجعة إلى أمور دنياهم، كما أنّ
الأولى كانت راجعة إلى أمور دينهم...».

«داستهم» من: داس الشيء بـرجله، إذا
مشى عليه، وداس الطعام: دقه بالفدان ليخرج
الحبّ من السنبل.

«بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها» قالوا: الخف
للبعير، والظلف للبقرة والشاة والظبي، والكلام
استعارة، فشبه عليه السلام الفتن بإبل تدوس
شيئاً، وببقر تطأ شيئاً.

«وقامت» تلك الفتن.

«على سناكبها» سناكب، جمع سنبك: طرف
مقدّم الحافر، شبه عليه السلام الفتنة بخيل قامت
على سناكبها.

«فهم فيها» أي: في تلك الفتن التي كانت

أوصافها ما ذكر.

«تائهون» كمن وقع في مفازة لا يهتدي فيها
للطريق.

«حائرون» أي: متحيرون لا يدرون علاجاً
لدائهم...»^(١).

المسألة السادسة:

قوله عليه السلام: (وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بَبَصْرٍ
مَنْ بَصُرَهُ وَطَاعَتِهِ هَادٍ أَمْرَهُ...)»^(٢)

قال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله (صلى الله
عليه وآله وسلم): «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٣).

(١) هجج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢١٤.

(٣) يوسف، ١٠٨.

بعدما أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى أهمية
 سلامة القلوب ومن ثم إطاعة الهداة وتجنب
 المردين أشار الى النتيجة المتوخاة من ذلك ومرحلة
 جني الثمار وهي إصابة سبيل السلامة المطلقة، أي
 سلامة الدنيا والآخرة التي يبحث عنها كل انسان
 مؤمن باليوم الآخر يعيش على وجه هذه
 المعمورة، وقد بين الامام عليه السلام في كلام له
 وَصَفَ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ إِذْ قَالَ: (قَدْ أَحْيَا
 عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ - وَلَطْفَ
 غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبُرْقِ - فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ
 وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ - وَتَدَا فَعَتَهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ
 السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ - وَثَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنَهُ
 فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ - بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ
 وَأَرْضَى رَبَّهُ) (١)

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢٢٠.

إن إصابة سبيل السلامة بمفهومها العام لا تتأتى إلا عن علم وبصيرة ودراية ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الامام الحسن عليه السلام: (لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ) (١).

وذلك لأن البعض لا يتعدى نظره الى ما بعد الدنيا بل لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وهذا الصنف من الناس يصفه الامام عليه السلام بالأعمى كما جاء في كلامه إذ قال: (وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ...) (٢).

(١) نهج البلاغة، كتاب ٣١، (الوصية).

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٣٣.

وقال عليه السلام في مورد آخر «وما كلُّ ذي
 قلبٍ بليِّبٍ ولا كلُّ ذي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ولا كلُّ ناظِرٍ
 بِبَصِيرٍ...»^(١).

وأما صفات البصير فيبينها أمير المؤمنين عليه
 السلام في كلامه إذ قال: «فَأَيْمًا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ
 فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا
 وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي
 وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ
 بَتَعَسُفٍ فِي حَقٍّ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ أَوْ تَخَوْفٍ
 مِنْ صِدْقٍ فَأَفَقَ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكَرَتِكَ وَاسْتَيْقِظْ
 مِنْ غَفَلَتِكَ وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ
 فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (صلى الله عليه
 وآله) مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ وَخَالَفَ مَنْ
 خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَدَعَّاهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ

(١) نهج البلاغة، خطبة ٨٨.

وَضَعُ فَاخْرَكَ وَأَحْطَطُ كِبْرَكَ وَأَذْكَرُ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ
 مَمْرَكَ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَمَا
 قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدِمُ عَلَيْهِ غَدًا فَاْمَهْدُ لِقَدَمِكَ وَقَدِّمِ
 لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَالْجِدَّ الْجِدَّ
 أَيُّهَا الْعَافِلُ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ^(١).

ولا شك أن السلامة الحقيقية هي التي يدعو
 إليها الباري عز وجل إذ قال: «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
 دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ»^(٢).

والباحث عن هذه السلامة يتوجب عليه الجدُّ
 والاجتهاد في طلبها، وبما أن الانسان تتلوث فطرته
 بارتكاب المعاصي والذنوب فتعشو بصيرته وحينها
 لا يرى الحقائق كما هي، فيحتاج بالضرورة إلى

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٥٣.

(٢) يونس، ٢٥.

مَنْ يَنْذِرُهُ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ إِنْ عَصَى، وَيَهْدِيهِ إِلَى الصَّوَابِ، لِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِبَصَرٍ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرُهُ»^(١).

أي ببصيرة الامام الحق المطهر من كل رجس، وإطاعته في كل الاوامر والنواهي ولذلك قال تعالى مخاطبا نبيه (صلى الله عليه وآله): «.. إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٢).

جاء عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد"؟ فقال: رسول (الله صلى الله عليه وآله) المنذر، وعلي الهادي، يا أبا محمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى جعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتى دفعت إليك، فقال: رحمك الله يا أبا محمد لو

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٤.

(٢) الرعد، ٧.

كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك
الرجل، ماتت الآية، مات الكتاب ولكنه حي
يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى^(١)

وذكر الشيخ وحيد الخراساني في مقدمة منهاج
الصالحين موضوعا حول الهداية ننقل بعضا منه
قال: (.. ومعرفة إمام الهداية يتوقف على معرفة
الهداية، ومعرفة الهداية تحتاج إلى التدبر في آيات
الكتاب الواردة في هذا الموضوع، التي تزيد على
المائتين وتسعين آية، ولا يتسع هذا الموجز
لشرحها.

وذلك أن الهداية كمال الخلقة قال تعالى:
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى﴾^(٢)

(١) الكافي، للكليني، ج ١، ص ١٩٢.
(٢) طه، ٥٠.

وقال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى *
الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(١)
وهداية كل مخلوق تناسب خلقتة، ولما كان
الانسان مخلوقا في أحسن تقويم فهدايته أعلى
مراتب كمال الخلق... إلى أن قال: وان الإمام هو
المبين لأصول الدين وفروعه، لأن الله تعالى لم
يوكل تفسير دينه إلى آراء الخلق المعرضة للخطأ
والاختلاف، لأن الخطأ والاختلاف في الدين آفتان
تنقضان الغرض من تشريعه وتدخلان الأمة في
ظلمات الضلال، بل لم يترك الله تعالى نقطة
غموض ولا إبهام، حول أصول دينه وفروعه، إلا
أوضحها بأئمة الهدى...^(٢).

ومن هنا ينبغي التنبيه الى نكتة لا بد من

(١) الأعلى، ١-٢-٣.

(٢) مقدمة منهاج الصالحين، ج ١، ص ٢٠٧.

معرفتها وهي :

أن الانبياء والرسل والأئمة عليهم السلام هم الهداة الى الصراط المستقيم حيث سلامة الدارين، ولكن هذا لا يعني وقوفهم دائما في دائرة المسالمة والمحاورة والمهادنة، ولا يعني كونهم دعاة السلام أنهم لن يحاربوا لأجله، بل هم محاربون إذا ما دعت الحكمة الى الحرب، ومسالمون إذا ما دعت الحكمة الى السلم، وبهذا تكون حربهم نشرا للسلام، لأن حروبهم مع أعداء السلام حصرا، ولكن ينبغي القول أن الحرب عندهم آخر الحلول، وهذا ما نشهده في تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

فمن كلام للإمام عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين قال : «.. فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي

طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي وَتَعْشُوْا إِلَيَّ ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ
بِآثَامِهَا...»^(١).

قوله عليه السلام: (فتهتدي بي وتعشوا إلى
ضوئي) أي: (وتستضيئوا بي وفيه تعريض بضعف
بصائر أهل الشام فهم في الاهتداء بهداه كمن
يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل..)^(٢)

وفي الحتام نورد هذه الرواية المباركة لتبين لنا
معنى الصراط المستقيم في الدنيا ومعناه في الآخرة،
فعن الفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله
عليه السلام عن الصراط، فقال: (هو الطريق إلى
معرفة الله عز وجل، وهما صراطان: صراط في
الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في

(١) نهج البلاغة، خطبة ٥٥.

(٢) بهج الصباغة، ج ٤، خطبة ٥٥.

الدنيا، فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا، زلت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على حبيبه المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(١) تفسير البرهان، ج ١، ص ١١٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

٢- نهج البلاغة تحقيق (صبحي الصالح)

٣- الصحيفة السجادية

٤- تفسير مجمع البيان مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى

٥- الكافي للشيخ الكليني / مطبعة حيدري /

الناشر: دار الكتب الإسلامية / الطبعة الخامسة

٦- تفسير علي بن ابراهيم القمي / مطبعة

النجف / تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب

الموسوي الجزائري

٧- بحار الانوار للعلامة المجلسي / الطبعة:

الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

٨- الخصال للشيخ الصدوق / تحقيق

وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري

٩- مصباح الشريعة المنسوب للامام الصادق

عليه السلام / الناشر: مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات بيروت - لبنان / الطبعة الأولى

١٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

للعامة حبيب الله الهاشمي الخوئي / تحقيق: سيد

إبراهيم الميانجي / المطبعة الاسلامية بطهران/

الطبعة الرابعة

١١- بشارة المصطفى محمد بن أبي القاسم

الطبري / تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني /

المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي / ط ١.

١٢- لسان العرب لابن منظور / الناشر: نشر

أدب الحوزة / سنة الطبع: محرم ١٤٠٥

١٣- تاج العروس للزبيدي / طبعة دار الفكر

- بيروت، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤ م
- ١٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) / مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان / الطبعة الأولى
- ١٥- البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم
- ١٦- ميزان الحكمة محمد الري شهري / المطبعة: دار الحديث / الطبعة: الأولى
- ١٧- وسائل الشيعة، للحر العاملي / تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث / ط ١.
- ١٨- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي / الطبعة الجديدة والمنقحة

- ١٩- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحاكم
الحسكاني / الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة
لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء
الثقافة الإسلامية / تحقيق: الشيخ محمد باقر
المحمودي / الطبعة: الأولى
- ٢٠- علل الشرائع للشيخ الصدوق / تقديم: السيد
محمد صادق بحر العلوم / منشورات المكتبة الحيدرية
ومطبتها - النجف الأشرف
- ٢١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائي / الناشر:
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين
بقم المشرفة
- ٢٢- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد
الساجدين (ع) للسيد علي خان المدني الشيرازي /
تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني / المطبعة:
مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة: الرابعة

٢٣- مستدرك الوسائل للميرزا حسين النوري
الطبرسي / تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء
التراث / الطبعة الثانية

٢٤- مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول
للعلامة محمد باقر المجلسي / مطبعة مروزي / الطبعة
الثانية / الناشر: دار الكتب الإسلامية

٢٥- الهداية للشيخ الصدوق / تحقيق:
مؤسسة الإمام الهادي (ع) / الطبعة الأولى

٢٦- الوافي للفيض الكاشاني / المطبعة: طباعة
أفست نشاط أصفهان / الطبعة الأولى / الناشر:
مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة -
أصفهان

٢٧- معجم ألفاظ الفقه الجعفري للدكتور
أحمد فتح الله / المطبعة: مطابع المدوخل - الدمام
/ الطبعة الأولى

٢٨- بلاغات النساء لابن طيفور/ الناشر: مكتبة

بصيرتي. قم المقدسة

٢٩- المبسوط للشيخ الطوسي / المطبعة الحيدرية

- طهران / الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء آثار

الجعفرية

٣٠- الشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامه /

الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع -

بيروت - لبنان

٣١- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / المطبعة:

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -

لبنان

٣٢- معاني القرآن للنحاس / الناشر: جامعة أم

القرى - المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى

٣٣- تفسير العياشي لمحمد بن مسعود

العياشي / الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية -

طهران

٣٤- شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح

المازندراني / مطبعة دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى

٣٥- حاشية ابن ادريس على الصحيفة

السجادية لابن إدريس الحلبي / الناشر: العتبة

العلوية المقدسة / الطبعة: الأولى

٣٦- عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي

الواسطي / المطبعة: دار الحديث/

الطبعة الأولى

٣٧- غرر الحكم ودرر الكلم / مؤسسة

الاعلمي للمطبوعات / الطبعة الاولى

٣٨- الأمالي للشيخ الصدوق / تحقيق: قسم

الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم /

الطبعة الأولى

٣٩- عوالي اللثالي لابن أبي جمهور الأحسائي /

مطبعة سيد الشهداء - قم / الطبعة الأولى

٤٠- في ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد

مغنية / مطبعة ستار / الطبعة الأولى / الناشر:

انتشارات كلمة الحق

٤١- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة

للشيخ المحمودي / الناشر: مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات - بيروت - لبنان

٤٢- تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري /

الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

- لبنان / الطبعة الرابعة

٤٣- مقدمة منهاج الصالحين للشيخ وحيد

الخراساني

٤٤- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة

للعامة محمد تقي التستري / مؤسسة التاريخ

العربي - بيروت - لبنان - / الطبعة الاولى

٤٥ - تحف العقول عن آل الرسول (ص)

لابن شعبة الحراني / الناشر: مؤسسة النشر

الإسلامي / الطبعة الثانية

٤٦ - جامع السعادات للشيخ محمد مهدي

النراقي / مطبعة النعمان - النجف الأشرف /

الطبعة الرابعة

٤٧ - المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء للفيض

الكاشاني / الناشر: دفتر انتشارات اسلامي / ط ٢.

جدول المحتويات

٧	مقدمة المؤسسة.....
٩	مقدمة الكتاب.....
١٠	المسألة الأولى: معنى الطاعة.....
١٢	المسألة الثانية: الطاعة المطلقة الغير مشروطة:.....
١٥	المسألة الثالثة:.....
١٥	العصمة المطلقة لأصحاب الطاعة المطلقة:.....
٢٥	المسألة الرابعة: الطاعة المقيدة:.....
٢٩	المسألة الخامسة:.....
٢٩	تجنب مَنْ طاعتهم مردية:.....
٣٠	١- سلبية طاعة أئمة الضلال:.....
٣٥	٢- سلبية طاعة الظالمين:.....
٤٠	٣- سلبية طاعة أهل الكتاب:.....
٤٤	٤- سلبية طاعة المسرفين:.....
٥١	المسألة السادسة:.....
٥١	قوله عليه السلام:(وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ يَبْصُرُ مَنْ بَصُرَهُ وَطَاعَتِهِ هَادٍ أَمْرَهُ...)
٦٢	المصادر والمراجع.....

